

الأعداد 14-11-2010

1171- بمناسبة الكوتة: "ودعوت أن تحذو المعارضة الألبقة حذوون"

تعتة الوفد

العدد ليس في الليمون، ولكن في عدد من تقدم حتى اليوم للترشيح لمجلس الشعب، صدرت الأهرام الغراء اليوم (السبت 6 الجارى) وعنوانها الرئيسى جدا هو "إعلان أسماء مرشحي الحزب الوطنى لمجلس الشعب غدا، أما العنوان الفرعى فهو: "3095 مستقلا ومعارضاً قدموا أوراقهم خلال يومين"، ثم فى داخل الخبر ما يفيد أن "الحزب الوطنى، لم يسم مرشحيه بعد"، فإذا أضيف إلى هذا العدد الأول مرشحو الوطنى وهم 508 (حسب الأهرام أيضا) أصبح العدد 3603

وصلتنى من مثل هذه العناوين، فرحة الحكومة جدا جدا بأنها نجحت أن تنتصر على موجة الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات، فهى لا تخفى أنها فى غاية الانبساط أن البرادعى وفرقته قد خابوا خيبة بليغة فى إغاظتها، أو تعريتها، وهذه الفرحة البالغة أثبتت لى أنها - الحكومة - صدقت نفسها إذ نجحت أن تغطى عزلتها بكل هذا العدد من الليمون، أقصد من المرشحين. وربما زادت من فرحة الحكومة ما بادرت "المحظورة" به من إقدام شجاع على الترشيح "بدرى بدرى"، دون تردد، وأنها بذلك كانت أول من كسر حلقة المقاطعة المحتملة. كنت قد تابعت قبل ذلك آراء بعض المسئولين جدا وأصواتهم، وهم يكتبون عن فشل المعارضة فى أن تعارض، وفشل الحركات العشوائية المشاكسة ("كنظام" المعارضة) فى أن تؤثر، وفشل أى حركة أن توجد مستقلة لدرجة التأثير إلا بعد الحصول على بركة الحكومة وموافقتها المعلنة أو الخفية.

هكذا بدا لى أن الحكومة قد أحكمت إلى مخططها المحسوب بالقلم والورقة للاستمرار المستقر، بغض النظر عن الانتخابات نفسها، التى ما عاد يهملها حجم الإقبال عليها، ولا طريقة التصويت، ولا أمانة فرز الأصوات، كل هذه أشياء مقدور عليها، لأول مرة أنتبه إلى العبقرية المصرية فى تعديل الديمقراطية لتمبح: أنه ليس المهم عدد الناخبين، وإنما المهم عدد المرشحين، لأن كل شىء بعد ذلك مرسوم بما فى ذلك النتائج والحمد لله!! ألم يعلن أحد المسئولين - قبل الهنا بسنة - أن

المظورة لن تحصل على ما حصلت عليه من مقاعد في الانتخابات السابقة؟! ليس لأن جموع الشعب المصري قد اكتشفت أنها لا تمثل كل الإسلام والمسلمين، فلم ينتخبوها، فهذا أمر ثانوي بالنسبة له، وإنما لأن الحكومة أصبحت واعية لحركاتها "المظورة"، وأنها لم تفز بهذا العدد من المقاعد في انتخابات المجلس السابق إلا بعد أن استغفلت الحكومة، وقالت لها بئس المحفورة (الديمقراطية)، وما كادت الحكومة تبص للمحفورة حتى خطفت المظورة هذه المقاعد خطفا في الانتخابات السابقة، وبرغم هذا التصريح الواضح تصورت أن الحكومة يمكن أن تراجع قليلا فتكافئ المظورة مع أنها مازالت محفورة بعدد أكثر قليلا مما كانت تنوى عليه، من باب الاعتراف بالجميل.

أليس الأسهل لنا، والأوفر لوقتنا، أن نفرح لفرح الحكومة، ونفضها سيرة، بدلا من كل هذه المصاريف واللافات، ولنرصد مع بريم التونسي في سياق آخر قوله "العطفة من قبل النظام مفتوحة، والوزة من قبل الفرع مدبوحة"، فنقول "والنسبة من قبل التعب معروفة" فما الداعي بالله عليكم لكل هذا الذي يجري (حتى داخل ما يسمى الحزب الوطني)؟ هل يوجد مسئول واحد، يعتقد باحتمال واحد في المليون أن المعارضة والمستقلين والمنشقين (والوحشين) سوف يحصلون على واحد ومخمس في المائة من الأصوات تحت أي ظرف من الظروف؟

الحكومة فرحانة أن هناك انتخابات ، إذن فهناك ديمقراطية (حتى أسألو السفيرة سكوي)

الحكومة فرحانة لأن أغلب المعارضة سوف تدخل الانتخابات ، وهذا دليل على قبول الرأي الآخر !

الحكومة فرحانة جدا لأن المظورة وافقت مبكرا، بالعند في القوى غير المظورة .

الحكومة فرحانة لأن أمريكا فرحانة بنجاحها في تسويق ديمقراطيتها في مصر المحروسة دون إراقة دماء، الأمر الذي اضطرت إليه-أمريكا- وهي في "غاية الألم والعولة" في العراق ، أما في مصر البلد الطيب فإن حكامه الطيبين قد أعفوها من سفك الدماء، وقاموا بثورة بيضاء على اليرادعى، والغزالي حرب، والغوغاء المهمشين.

الحكومة فرحانة لأن وسائل الإعلام الأجنبية يمكنها أن تلتقط ما شاء لها من صور لمجلس الشعب الجديد، وسوف تلاحظ بياض أسنان كل الأعضاء دليلا على الانبساط دون أن يقول أحدهم "معيبييز" (مقابل cheese بالإنجليزية)، وسوف تتزين الصورة ، ليس فقط بعدد من الوجوه المعارضة، ولكن بعدد من الحسنات والتأثرات الطيبات النجيبات،

لكننى، بعد كل هذا، ضبطت نفسى أشارك في فرحة الحكومة على الوجه الآتى:

أنا أثق في المرأة وقدراتها عبر التاريخ، والآن أكثر، وقد كتبت مرارا أنبه أن التقدم القادم، سواء على المستوى

القومى، أو عبر العالم، على مسار التطور لصالح النوع البشرى كله لن يتم ويضطرد إلا بمشاركة المرأة في تسيير مسيرة الإنسان، بل وقيادتها غالباً، المرأة هي الاصل، ومن خلال خبرتى: هي أقدر إحساساً بخاطر ما آل إليه حال البشر، وبالتالي فهي أكثر استعداداً للتطور من الرجل الذى أعاقته غطرسته، وأغماه غروره، وأصممه غباؤه الإنقراضى، عن استيعاب حركة التطور الإنسانى الخلاق، هذه ليست مجاملة لا للمرأة، ولا للحكومة لأن كل هذه الخواطر عاودتنى برغم تحفظى على فكرة تخصيص "كوتة" للمرأة المصرية، في مجلس يثبت أكثر فأكثر أنه لا لزوم له أصلاً إلا للاستعمال من الظاهر واجهة مفرغة مما ورائها حتى وإن كان يخرج من ورائها بين الحين والحين بعض صفارات إنذار قد تفيد الوقاية أحياناً. الحقوق بما في ذلك حقوق المرأة تؤخذ ولا تُمنح بكوتة أو بقرار، دعوت مرارا ألا تحاول المرأة اللحاق بالرجل فقد أخطأ الطريق إلى الإنسان المتكامل، وعلى المرأة أن تبدأ بأنوثتها الأغنى إنسانية منه، لتحقيق بها إنسانيتها لها وله، للبشر كافة.

برغم كل ذلك فلا مانع من هذه التصبيرة: "الكوتة"، حضرت في وعيى الآن صورة مظاهرة النساء في ثورة 1919، وما كتبه حافظ إبراهيم في وصفها مخفة ظل شديدة، قال :

خرج الغواني يمتججن ورحت أرقب جمعهن

فإذا بهن تحذن من سود الثياب شعارهن

فطلعن مثل كواكب يسطعن في وسط الدجن

وفي عام 1960، كتب محمد مهدي الجواهرى، بمناسبة حفل اليوم العالمى للمرأة، وقد اختار نفس الوزن والقافية..

حييتهن بعيدهن: من بيضهن وسودهن

وحمدت شعري أن يروح قلاندا لعقودهن.

.....

فأكملت بدورى بمناسبة الكوته:

فليهنأ الحزب الذى كسب المكارك باسمهن

مع أنه لما يكن في حاجة لجهودهن

لا فرق بين المجلسين: بهن، أو من غيرهن

ومع أن فكرة الكوته هي إعلان لفشلنا الحضارى والتطورى، إلا أنها بدت لي مكملة لتمثيلية الديمقراطية الجارية، فخطر لي أن نفس الفكرة (الكوته) قد تكون الحل المناسب لإشراك العدد المناسب من المعارضة في "العرض الفكاهى المستمر" على الوجه التالى:

ما دامت الحكومة تحب الديمقراطية جدا هكذا، لكنها لا

تقدر على تنفيذها بأصولها، وهي في نفس الوقت تريد واجهة تستر بها نفسها بشكل أو بآخر، أليس من الممكن أن تخصص "كوتة" للمعارضة حسب آخر مواصفات الديمقراطية الموصى عليها، فأكملت قصيدتي قائلا:

فحمدت ربى أنهم أخذن بعض حقوقهن

ودعوت أن تحذو المعارضة الأليفة حذوهن

فلتخصص الحكومة النسبة التي تراها لائقة للعرض الديمقراطي، فإن حال القانون دون ذلك، فلتعدل الدستور.

فيها ماذا؟

بسيطة!!